هل تنصف الانتخابات العامة المسلمين في تنزانيا؟

13-7-2005

وقد حقق المسلمون في منطقة زنجبار نجاحات عدة على الصعيد السياسي وتنتظرهم فرص أوسع في الانتخابات القادمة في خريف 2005، حيث نجحت المعارضة الاسلامية (حزب الجبهة المدنية المتحدة) في صياغة دور سياسي واسع في الانتخابات العامة التي جرت في تنزانيا في 1995 و2000 لدرجة ألجأت حزب الحكومة (تشاماتشا مابيندوزى) للجوء للتزوير للتغلب على حزب المعارضة في انتخابات 2000، كما نجحت مجموعة اللوبي العربي في منطقة "زنجبار" في الضغط على السلطات الحكومية لإصدار قانون يمنع تناول المشروبات الكحولية ولحوم الخنزير في الأماكن والتجمعات العامة؛

بقلم رضا عبد الودود

تعيش جمهورية تنزانيا على وقع الاستعداد للانتخابات العامة المقبلة، وتوجه أنظار النخب الحاكمة بعيون فاحصة إلى مسلمي زنجبار التي تشهد مناطقها صحوة إسلامية بصورة كبيرة -بالرغم من المصاعب التي تواجههم من فقر وحملات تنصير وتنازع لبعض الفرق الإباضية والزيدية- مقارنة بالانهيار الاقتصادي والاجتماعي الذي تعيشه تنزانيا، بما يشير إلى أن هذه الصحوة الإسلامية ستجعل الانتخابات العامة المقبلة في أكتوبر القادم أكثر شراسة من الانتخابات التي جرت عامي 1995 و2000، بعد أن ألغت زنجبار نظام سياسة الحزب الواحد عام 1992.

وإزاء حالة الفراغ الاجتماعي والاقتصادي لسياسات الحكومة التنزانية، ترعرعت جهود الصحوة الإسلامية من إرشاد ووعظ ومعونات وكفالات للفقراء والمحتاجين، بدت مظاهرها في تزايد أعداد المترددين على المساجد وعدد مرتديات الحجاب وسط دعوات من القيادات الاسلامية بأن إقرار القيم الإسلامية هو الحل الأمثل لكل "المآسي" التي يعيشها الإقليم، وأن الإسلام هو العامل الوحيد الذي يوحّد الناس في جزيرة زنجبار.

ومنذ توحيد زنجبار مع إقليم تنجانيقا، تخشى الحكومة التنزانية العلمانية من تزايد نفوذ الدعاة المسلمين القادمين من الدول الأخرى إلى الإقليم؛ مما دفعها إلى تشديد إجراءات دخولهم إلى أراضيها؛ حيث يتوجب على سفارات تنزانيا أن تصدر مسبقًا شهادة مدتها 6 أشهر تفيد بأن هؤلاء الدعاة ينتمون إلى جماعات لا تمثل تهديدًا لأمن تنزانيا، خاصة في ظل تصاعد الاتهامات الدولية وحملات الاستخبارات الأمريكية في قلب إفريقيا في أعقاب تفجير سفارتي الولايات المتحدة في تنزانيا وكينيا عام 1998.

* وجود عربي إسلامي:

وكان العرب هم أول من توغلوا داخل تنزانيا، وجذبوا انتباه العالم الخارجي لها، وهاجرت قبائل من عمان وأهل شيراز من جنوب فارس (إيران حاليا) واستقروا على الساحل الأفريقي، وتزوجوا من السكان الأصليين لنشر ثقافتهم وتقاليدهم الإسلامية، بل إن مدينة دار السلام العاصمة أنشأها سلطان عربي هو "مجيد بن سعيد" أيام ولايته على زنجبار عام 1866م ، بهدف إقامة ميناء كبير يكون همزة الوصل بين جزيرته ودول القارة. وقد استقبلت دار السلام العديد من الهجرات من مختلف الجاليات والطوائف إلا أنها احتفظت بالوحدة بين أبنائها؛ حيث تتعايش كل الطوائف والديانات؛ فهناك المسجد الذي ينتمي إليه الغالبية العظمى من السكان على الرغم من قلة تأثيرهم على صنع القرار، وهناك الكنيسة التي ينتمي إليها صانعو القرار بمن فيهم الرئيس، بالإضافة إلى المعابد الهندوسية لهذه الجالية الكبيرة التي تتحكم في معظم النشاط التجاري والاقتصادي.

ويبلغ عدد سكان زنجبار مليون نسمة، نسبة المسلمين منهم 98%، أغلبهم يقطنون جزيرتي "أنجوجا وبمبا"، أما النسبة الباقية فمن المسيحيين والهندوس. ويتحدث أهل زنجبار اللغة السواحلية -وهي اللغة الرسمية- بجانب الإنجليزية التي عمل الاحتلال البريطاني على زرعها بين أبناء البلاد، ويرجع أصل سكانها إلى عُمان وفارس وأفريقيا وآسيا، خاصة الهند وباكستان. ورغم عدد السكان الهائل من المسلمين في زنجبار فإنهم يعانون الكثير من الفقر والتخلف العلمي؛ وهو ما يجعلهم فريسة لحركات التنصير. وبوجه عام يبلغ عدد سكان تنزانيا 36 مليون نسمة، 34% منهم يدينون بالإسلام، و 44% بالمسيحية، بينما تدين البقية بمعتقدات أفريقية وثنية.

وتقع تنزانيا في شرق أفريقيا، وتضم إقليمين أحدهما كان يسمى "تنجانيقا"، وكانت محمية ألمانية؛ حتى سيطرت عليه بريطانيا مع هزيمة ألمانيا في الحرب العالمية الثانية، واستقلت عام 1961.

أما زنجبار فهي جزيرة تضم سكانًا عربًا مسلمين جاءوا من جنوب الجزيرة العربية، بعد انهيار الحكم البرتغالي لساحل شمال أفريقيا ودانت زنجبار للحكم العماني، وتعاقب على حكمها أحد عشر سلطانًا من أسرة البوسعيدي من أهمهم السلطان سعيد الأكبر، الذي أدخل زراعة القرنفل للجزيرة في أوائل عام 1800، مما أدى إلى ازدهار الحالة الاقتصادية في البلاد، حتى أصبحت أكبر مصدر للقرنفل في العالم.

ووقعت صدامات بينهم وبين الأفارقة الموجودين في زنجبار، غير أن العرب سيطروا على الجزيرة لقرون عديدة، حتى سقط حكمهم في عام 1964. واتحدت زنجبار مع تنجانيقا ليكونا الاتحاد التنزاني في إبريل عام 1964، تحت رئاسة "جوليوس نيريري" الاشتراكي التوجه الذي خرج من السلطة في عام 1995. وخلفه بنجامين مكابا الرئيس الحالي الذي فاز بأول انتخابات في ظل التعددية الحزبية عامي 1995 و 2.

* تنصير وتشويه تاريخ المسلمين في تنزانيا:

وبالرجوع للوراء قليلا لتأصيل الرؤية، تؤكد الدراسات التاريخية أن تاريخ العرب في زنجبار شوه كثيرًا، فألصق بالحكم العربي تجارة الرقيق، واتهم بالتعاون مع الاستعمار، وتحمل العرب والمسلمون أكثر التهم سوءًا في تاريخ أوربا وأفريقيا، فألصق بهم الميراث التاريخي الأسود الذي اخترعه الأوروبيون، وهو بيع الآلاف من الرقيق الأفارقة لأوربا المسيحية. إلا أن الغالب، كما تذكره كتب التاريخ، فإنه منذ أن بدأت الوصاية البريطانية، وتغلغل نفوذ حركات التنصير في الدولة، حتى صار جميع موظفي الدولة من المسيحيين، وصار اقتصاد البلد بأيديهم، وأقاموا عشرات الكنائس، حتى بلغت نسبتها كنيسة مقابل كل مائة مسيحي، رغم كثرة عدد السكان المسلمين في هذه البلاد، والذي يصل إلى نسبة 98% من سكان البلاد .

وكان الاعتماد الرئيس لحملات التنصير في زنجبار على عنصري السلاح والإغراء بالمال، وإجبار النساء المسلمات على الزواج من المسيحيين، وكذلك فقد وزعت الكتب المسيحية باللغة المحلية السواحلية، والأجنبية (الإنجليزية والعربية)، وتشكلت مكتبة ضخمة سميت باسم "مجمع الكتب المسيحية"، وصار كل من يريد الحصول على الإنجيل يجده بلغته، وصار المسلمون يقرؤون الإنجيل، ويفهمون معانيه قبل أن يسمعوا شيئًا من القرآن؛ لأنهم بعد المذابح الرهيبة، ومخططات التذويب التي قضت على كل ما هو عربي عقب الثورة في 5 يناير 1964؛ أصبح المسلمون لا يعرفون شيئًا عن اللغة العربية. ويقال إنه من جراء الثورة العارمة التي انطلقت في عام 1964 قُتل على أثرها ثلاثة وعشرون ألفًا من العرب المسلمين والهنود، وفرّ الكثير من العرب والشيرازيين، وتم الاستيلاء على ممتلكاتهم من المتاجر والمزارع، وأعلنت زنزبار الجمهورية عنوة عن السكان برئاسة عبيد كرومي الذي كان يتزعم -آنذاك- الحزب "الأفروشيرازي" ، واعترف بالجمهورية غداة استقلالها عدة دول من أبرزها مصر والولايات المتحدة الأمريكية.

وفي 24 أبريل من العام نفسه، أعلن الاتحاد بين كل من زنزبار ونتجانيقا تحت اسم الجمهورية الاتحادية لتنزانيا بين الرئيسين "نيريري وعبيد كرومي". إلا أن الأمر الأهم هو أن الدستور الاتحادي لم يسفر عن إذابة الشخصية الاعتبارية لزنجبار، وإن كان قد وضعها في إطار اتحادي، ولكنها تمتعت بمساحة كبيرة من الحكم الذاتي كدولة طرف في الاتحاد، لها رئيس ومجلس نواب ورئيس للوزراء وحكومة ودستور خاص بها، وإن كانت الحكومة الاتحادية قد احتفظت لنفسها بإدراة السياسة الخارجية والدفاع والأمن والتعليم والإقامة والحدود!.

* تصاعد دوراللوبي العربي والإسلامي:

وقد حقق المسلمون في منطقة زنجبار نجاحات عدة على الصعيد السياسي وتنتظرهم فرص أوسع في الانتخابات القادمة في خريف 2005، حيث نجحت المعارضة الاسلامية

(حزب الجبهة المدنية المتحدة) في صياغة دور سياسي واسع في الانتخابات العامة التي جرت في تنزانيا في 1995 و2000 لدرجة ألجأت حزب الحكومة (تشاماتشا مابيندوزى) للجوء للتزوير للتغلب على حزب المعارضة في انتخابات 2000، كما نجحت مجموعة اللوبي العربي في منطقة "زنجبار" في الضغط على السلطات الحكومية لإصدار قانون يمنع تناول المشروبات الكحولية ولحوم الخنزير في الأماكن والتجمعات العامة؛ حرصا على مشاعر المسلمين في البلاد، كما نص القانون على منع تمويل شركات ومحلات الخمور للأندية والألعاب الرياضية وخاصة كرة القدم. ويرى المراقبون أن هذا الإجراء يأتي ضمن الخطوات التي بدأ اللوبي العربي اتخاذها لتفعيل التأثير القوي له في تلك المنطقة، والذي يرجع وجوده في هذه المنطقة وشرق إفريقيا عمومًا إلى أكثر من ألفي سنة.

* تحديات تواجه صحوة المسلمين:

وتقف مسألة الفقر والعوز الاقتصادي كأول حجر عثرة في طريق الصحوة الاسلامية في تنزانيا، إذ إن مسلمي زنجبار حريصون للغاية على التمسك بالدين الإسلامي، رغم حالات الفقر الشديدة التي يواجهونها؛ إلا أنه لديهم رغبة في تعلم مفاهيم الدين، ودراسة اللغة العربية.

وبعد ذلك تبرز مشكلة قلة الكتب الإسلامية والدراسية والتي أفضت لعدم حصولهم على قسط وافٍ من التعليم، وهو ما يلقي بالمسؤولية على دول العالم الإسلامي لإنقاذها هذا العضو العليل في الجسم الإسلامي. حيث يشير المراقبون والدعاة في تنزانيا، أن مسلمي زنجبار لو وجدوا دعمًا وإعانات من الدول العربية والإسلامية؛ فإن حالهم سوف يتغير كثيرًا، حيث يوجد وعي وصحوة إسلامية كبيرة، ورغبة في حب التعليم، وهو ما يظهر تكرار سؤالهم عن الأمور الدينية، في الوقت الذي يقوم فيه مبعوثو الأزهر بجهد كبير في تعليم مسلمي البلاد اللغة العربية، ونشر الدعوة الإسلامية؛ حيث هناك تقدير كبير لدور الدعاة الإسلاميين في هذه البلاد.